مجاورة القرآن للسنة في مسار الثورة الحسينية وخطاباتها

م.م. نعمه جابر محمد آل نور
كلية الامام الكاظم (ع)
قسم علوم القران والعقيدة

الكلمات المفتاحية:
(مجاورة ، خطاباته ،مسار،الثورة،القيادة)

المستخلص :

الثورة الحسينية تتناول أهمّ قضية من قضايا الأمّة الإسلاميّة والتي تتمثّل في تعرض بناها الفكرية لهجمات فكرية معضودة بمفاهيم خاطئة عن الكون والحياة.

وهذا الاستمرار أسهمت فيه عوامل مختلفة على قمّة هرمها الوراثة ذلك العامل الخطير الكمال كما لمسناه في تركيبة الإمام الحسين (ع) الكمالية (**إنا أهل بيت النبوة**) وهذه ميزة لم يشاركه أحد فيها.

وعندما فشل الوليد في انتزاع البيعة من الإمام الحسين (ع) فقد خرج الإمام (ع) من المجلس واستعد للخروج من المدينة في جوف ليل وهو يتلو قوله تعالى:**{فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجني من القوم الظالمين}.**

ولا شكّ في أنّ الدور القيادي الذي لعبه الإمام الحسين (ع) ولّد جانباً معنوياً استمدّ منه الثوار ضمانة نجاح أهداف الثورة الحسينية؛ مع أنّ عاشوراء الحسين (ع) تتضمن المأساة والتحدّي فقد أحدث في المجتمع هزات عنيفة أعادت له بعض وعيه المفقود ولقد أكّد الرسول الأكرم(ص) على مكانة الإمام الحسين(ع) مراراً وتكراراً ومنها: (**حسين منّي وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسيناً**).

Extract

Neighboring the Koran for the Sunnis in the course of the Husseiniya revolution and its speeches

NEAMAH JABER MOHAMMAD

Department of Quran Sciences

College of Imam Kadhim(p)

Keywords: (Neighborhood, Speeches, Path, Revolution, Leadership)

Abstract:

The Revolution AL-Husseiniya dealing with the most important issue of the Islamic

Ummah, which is the exposure of intellectual intellectual attacks with wrong concepts of the universe and life.

And this continuity contributed by various factors at the top of the hierarchy of inheritance that dangerous factor perfect as we have seen in the composition of Imam Hussein (p) Kemalism I am the people of the house of prophecy> as a specialist did not participate in it.

And when the newborn failed to extract the allegiance from Imam Hussein (AS), Imam (AS) emerged from the Council and prepared to get out of the city in the cavity of the night when he recited the verse: (He went out of fear waiting for the Lord said Naji of wrongdoers.

There is no doubt that the leading role played by Imam Hussein (p) was born on a moral basis derived from the revolutionaries guarantee the success of the objectives of the Husseiniya revolution; although Ashura Hussein (p) include the tragedy and challenge has resulted in the community violent tremors brought back some of his lost consciousness has confirmed the Holy Prophet (R) on the site of Imam Hussein (p) time and again, including:> Hussein me and I from Hussein I love God who loved Hosina.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الكونين محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد...

أردت أن أقدّم للقارئ بشتّى صنوفه دراسةً ميسرةً تتناول مجاورة القران للسنة في مسار الثورة الحسينية وخطاباتها التي صرح بها قائد الثورة ومنظرها منذ بداية إعلان رفضه البيعة ليزيد وإعلان حركته من المدينة حتى مكة وانتهاء

بالمحطة الأخيرة من مسار ميدان الثورة الجغرافي، كربلاء الإصلاح والشهادة، هذه الخطابات تميزت بكونها قرآنية الطابع وحديثية القائل؛ لكونه إماماً معصوماً منصوصاً عليه في مقام الاستخلاف لمقام النبوة على لسان النبي

المتصل بالوحي الإلهي الذي لا يعتور اخباراته أي شك وريب، وهذه الدراسة مصحوبة بشيء من النظر التحليلي الحداثوي لأحداث الثورة وقائدها، مخرجةً بروح من التأريخ والعقيدة بأسلوب أدبي لغوي؛ ليتسنى للقارئ أن يتذوّق الأحداث ويمازج بينها لسلاستها وعدم التعقيد فيها، ولأنّني حاولت الربط بين الزمان والمكان لاسيما للأحداث التي عمّت هذا الصقع النائي من كوكب الأرض الذي أصبح فيما بعد مركزاً للإشعاع الفكري والقيادي، وعالم الحياة والكون عن طريق طرح نظريّة السماء على أرض الحياة ذات الشمول والإمتداد.

فكانت تلك الخطابات عبارة عن مجاورة القرآن للسنة التي تمثل قول المعصوم، تارة نجدها في كون المعصوم هو ابن الوحي نشأة وتنشئة، والقرآن غذاؤه الروحي، وأخرى نجدها في إعلان الرفض لبيعة يزيد، وفي خطابات التجذر والاستمرار، وفي خطابات التحرك، وسمو الأهداف،، وفي الوضوح في الحركة، وفي إيضاح طبيعة الصراع والنتائج الحتمية الوقوع، وفي خصائص وميزات الإمام الحسين(ع) وأخلاقه.

والله الموفق

لو نظرنا إلى تأريخ الأمّة (شبه الجزيرة العربية) قبل عمليّة التغيير الإلهي، وقد اعتادت السماء أن تمنّ به على أهل هذا الكوكب وكعادة السماء في إيجاد الاهتزازات المناسبة والكفيلة ببعث الحياة وتهذيبها بعد أن امتدّت يد الفوضى إليها، وخربت مساحاتها الواسعة، وكأنّها أخذت على عاتقها إيجاد المناخات الملائمة لعملية التغيير والإصلاح بوساطة إيجاد الأنموذج

النقي كلّ النقاء، وإعداده لغرض ممارسة العملية الإصلاحية، وعلى جميع الأصعدة (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) وهو نوع من الامتنان من السماء على أهل هذا الكوكب، للوصول والإرتقاء به إلى أقصى الغايات والمراحل التكاملية، وعلى جميع المستويات، ولو نظرنا إلى حال الأمّة في ذلك التأريخ لوجدناها متخلفة، لا تعرف مفهوم الدولة، والسلطة السياسية، والتنظيم، بل كان نظام القبيلة هو السائد، والجهل يعبث بالعقول، إلى الحد الذي لم تفكر به الحضارات الثلاث المحيطة بالأمة آنذاك أن تكلّف نفسها ولو على مستوى التوظيف لغرض أهدافها على تلك الرقعة (شبه الجزيرة العربية)، فلا حضارة عند الأمّة سوى أنّها تستعرض إبداعها اللّغوي في كلّ عام مرّةً، وقد خلّفت لنا كمّاً هائلاً من المذكور آنفاً، وقد أصبح فيما بعد المرموز الخالد الذي تفتخر به الأمّة على مرّ الأجيال.

وهذه الحياة القبلية السائدة وهذه العبثيّة المقيتة ولّدت لدى أبناء الأمّة رسوخاً يصعب على كثير منهم التخلّص منه، كما وإنّ هذا اللّون من التجذّر في الحياة القبلية جعل الأمّة تعيش تحت وطأة مشاهد مأساويّة كانت غاية في التعقيد، جعلت المجتمع آنذاك مقسّماً لا شعوريا إلى عدّة طبقات هي:

أولاً: طبقة الأثرياء: الذين احتكروا الساحة بكلّ مساحاتها آنذاك والتي أسست للحياة السياسية فيما بعد في الأمّة جزءاً من واقعها السياسي.

ثانياً: طبقة الفقراء: هي الطبقة التي لها مساحة واسعة في حياة الأمّة (تركيبة الأمّة السكانية).

ثالثاً: طبقة العبيد: هي الطبقة التي عليها أن تخدم الأسياد من دون أن تحصل على أبسط الحقوق سوى ما تسدّ به الرمق لأجل البقاء على قيد الحياة.

رابعاً: طبقة النساء: هي الطبقة التي تعيش واقع البؤس والشقاء والاضطهاد إلى الحدّ الذي وصفه الله فيما بعد بقوله تعالى: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}**[1]، حتّى أخبرت السماء عن براءتها فيما بعد بقوله تعالى **{يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور}**[2].

وقد كان المجتمع آنذاك قد أصابه الاضطهاد، والتعسف، والإذلال، والفقر، واللاإنسانية

بمعناها الواسع، الذي يندى له الجبين، وقد ترسخّت في نفوس الفئة المتسلطة من أبناء الأمّة الاجتماعية بل اصطبحت جزءاً من تكوينها الاجتماعي والذي أدّى بالتالي إلى زيادة نسبة المساحة المحتاجة إلى عملية الإصلاح، وهنا شاءت السماء أن تمنّ على الأمّة بالأنموذج النقي الذي سيمارس عملية الإصلاح لواقع الأمّة الهزيل في مساحاتها المخربة فنزل الخطاب السماوي يصدح ولأول مرّة بـ: **{اقرأ باسم ربك الذي خلق}**[٣]، وهي أولى مراحل التغيير في الواقع إذ أسست لنظرية المعرفة من أول وهلة نزلت فيها وجعلت لها الآلية المناسبة التي بموجبها ستتم هذه النظرية بها ألا هي طريقة التلقي**{اقرأ}** ثمّ استتبعها الإبداع فيما بعد أن استكملت بعض الجوانب الفنية في العملية الإصلاحية ألا وهي وجود العنصر المكمل للنموذج النقي وهو عنصر الجمالية والقوة في الموضوع وهو عنصر المرأة الذي جُعل لها الدور الريادي في المسألة التغيرية إلى جنب العنصر الآخر المتصل بالسماء خديجة الرائعة في الوفاء والحب والتضحية ذات المواقف الخالدة المشرفة في تاريخ الأمّة المشرق الوهاج معلنة وقوفها في رفد مشروع السماء بكلّ ما جنته من سنين الكد والعناء حتّى قيل عنها ما فيه الكفاية وفي المقابل فقد أجزلت لها السماء رفيع المنزلة إذ وهبتها الكمال في الحياتين.

وهذه العملية التغيرية أحدثت في بناء الأمّة القبلي هزات عنيفة أحالت المجتمع وبناه السابقة التي لا تنسجم مع روح المنهج الجديد إلى رماد وأسست لبناء الأمّة من جديد على وفق منهجية السماء وقيمها التي اتصفت بالإمتنان كعادة أخذتها على عاتقها عندما تتعرض مساحة الأمّة إلى التخريب الخطير الذي لا يؤمل معه الإصلاح إلا بتدخّل السماء.

وهذا التأسيس الجديد أرسيت قواعده الجديدة على وفق روحية تنبذ الاضطهاد والتعسف والإذلال والاحتكار ومصادرة الحقوق والحريات والتشويه، بل أخذت على عاتقها إزالة هذه الكوابيس الجاثمة على صدر الأمّة والتي تحول دون حضاريّتها لكي تصبح كما أصبحت فيما بعد حاضرة الإشعاع الإنساني الممتد إلى العالم أجمع.

واستمرت تحث الخطى نحو التحضر والإبداع ورفع المعاناة التي أثقلت كاهل الأمّة واستمرت عملية التغيير تحث الخطى نحو بناء حضارة جديدة ونشر ثقافة جديدة سرعان ما تجذّرت في الأمّة لتصبح الثقافة التي تمثل تطلعات الأمّة في الحاضر والمستقبل لتشخيص مسار التحرك الحضاري وهو نوع جديد من الوعي بجميع ألوانه لدى أبناء الأمّة شكل تيارا سياسيا ذا

طابع إصلاحي محض اثبت الواقعية في التجربة من دون ثغرات ولا هفوات تعود إلى الرماد الذي نتج عن مخلفات البناء القبلي السابق للأمة الذي أحرقه المنهج الإصلاحي الجديد ذو المنهجية السماوية فيما بعد.

هذا الرماد بقيت تحته بقايا جمار تستعر مرتبطة بواقعها القديم ما أن تنفست وفسح لها المجال بالظهور مجددا بسبب السلوكيات الخاطئة لبعض من دخل إلى جانب الأنموذج الرسالي والذي لم يحذفها ولم يهمشها الأنموذج المذكور؛ لعدم ارهابيته ولعدم استبداديته ولسعة مفهوم الحرية عنده، ولأنّ نظريته الحقوقية مبنيّة على عدم إنزال العقاب قبل وقوع الجريمة، فقد استغلّ الأنموذج النفعي المحسوب ظاهراً على الرسالية فاستطاع أن يمارس سلوكية خاطئة سمحت لبقايا الجمار تحت الرماد بالاستعار والظهور من جديد، والإعلان عن عودة التيار السياسي القديم الذي اعتاد على آليات لا تعالج واقع الأمّة وهمومها، بل ركّز على ممارسات تصبّ كلّها في مصلحته الشخصية (المادية) ومنها اعتماد سياسة التزييف للحقائق والأحداث على حساب ثوابت منهج الشماء عن طريق اعتماد ثقافة ضدٍّ وظّف لها أناساً تمّ شراء ضمائرهم بأبخس الأثمان، وقد نجح هذا التيار من خلال هذه الآليات ومن خلال هذا التوظيف في تحويل الأمّة إلى مقبرة حوت جهود الرساليين الأوائل وتمكنت من شلّ التاريخ لفترة وأعجزته عن ممارسة الدور الريادي الذي قام به الأنموذج الرسالي وأصحابه على التغيير، ولأنّ السياسة في منهجيتها الاستبدادية ونظرتها المادية تعود إلى طبيعة النظرة المتخلفة لأصحاب هذا التيار لنظرية الاستخلاف وتحويل مفهومها إلى ملك مادي عقيم لا يرحم الأب فيه رأس وليده؛ طبقاً لمفهوم لو نازعتني لأخذت الذي فيه عيناك.

وقد صرّح هذا التيار بهذا المنطق الاستبدادي إذ قال: **(لله أبوك يابن عبد الله لقد كنت عالي الهمّة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك مع اسم رب العامين)**[٤].

ومن ناحية أخرى يلحظ أنّ هذا التيار المستبد يطالب بشيء من الديمقراطية في إظهار العدل في بني هاشم فيقول:**(وإنّ أخا هاشم (رسول الله) يصرخ باسمه في كلّ يوم خمس مرات أشهد أنّ محمداً رسول الله فأيّ عمل يبقى مع هذا لا أمّ لك والله إلا دفناً دفناً)**[٥] هذا النمط من التعامل المادي وهذه النظرية الضيّقة للأمور مبنيّة على إحساس اعتقادي منحرف لا يعبر بسالكه إلى شواطئ الأمان بل كلّ الهم فيه من نوع سلطوية نفعية همها التمتع والالتذاذ بالملك ذي

الجواري والقيان على حساب العقيدة والمبدأ.

وقد ورث أبناء هذا التيار هذه النفسية التي تعاني من الشعور الدائم بالنقص وعدم القدرة على المجاراة مع أقرانهم ذوي المحيط الواحد المختلفين في حصص الوراثة ذلك القانون التكويني الذي كان نصيب الأنموذج النقي فيه الحظ الأوفر من الفضل ولغيره النصيب الأوفر من اللؤم والحقارة، فأصحاب التيار النفعي وصلوا إلى تولّي أمور الأمّة نزواً كما قال الشاعر: **اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم واشكر أباك الذي بالملك أصفاكا**

وانطلقت حناجر المتزلّفين وذوي المنافع المادية الدنيوية تصرخ: **(امض بنا حيث شئت)** فجزّاهم خيراً وفرّق بينهم أموالاً جزيلة.

واستتب لهذا التيار الأمر في عشية لم تشهد لها مثيلاً وعرّضت الأمّة وسياستها إلى حالة من التشويه والتخريب اقتصت الخروج عليها لإعادة الأمّة إلى وعيها وبث الثقة في نفوس أبنائها لإصلاح ما يمكن إصلاحه من أمر الأمّة ليكون النواة لعملية الإصلاح المستقبلية طبقا لثوابت الشريعة ذات القيم المستمدة من السماء.

ولهذا خرج الإمام الحسين (ع) على وفق نظرية من رأى منكم سلطانا جائرا...، وتنفيذا لأمر السماء بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ أن نزل الخطاب الإلهي يصرح بقوله تعالى:**{إنّ الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}**[٦]

إنّ لكلّ دين من الأديان التي نزلت من السماء والتي أخبرنا بنزولها القرآن الكريم أو أخبرنا بها التاريخ على مرّ العصور بكتاباته أو أخبرنا بها معتنقوا هذه الأديان، الذين ما زالوا يمارسون طقوس تلك الديانات ، ميزات اختصت بها هذه الأديان ، كاختصاص بعضها برقعة جغرافية محدودة أو كنزولها إلى مجموعة من البشر محدودة العدد **{إلى مئة ألف أو يزيدون}**[٧] أو متحدة الثقافة والتوجه كما في قوم لوط وغيرها من الميزات التي اختصت بها هذه الديانات، ولسنا بصدد دراسة خصوصيات الأديان ولكنها إلماحات لبعض تلك الزوايا أشرنا إليها لتشكل لنا مقدمة ندخل عن طريقها إلى أهمّ ما يميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان والنظريات الوضعية التي أعدت لقيادة الشعوب وإدارة الحياة في هذا الصقع أو ذاك.

وأهمّ ميزة لهذا الدين هي شموليته لواقع الحياة على كلّ المستويات؛ إذ لا يعالج المشكلة

القائمة على فسحة الواقع من زاوية واحدة أو ينظر إليها بعين حولاء لا ترى ما يواجهها إلا من الزاوية التي تستطيع الإبصار فيها وهذا اللون من النظر تتفرد به الرؤى الوضعية (النظريات الوضعية) التي تتفجر من بحبوحة الأرض حيناً وآخر ثمّ يظهر العجز عليها لعدم استنادها إلى ما يؤيدها من قيم عناصر الارتباط في السماء.

وعندما ندّعي الشمولية لهذا المنهج من دون غيره لابدّ من إقامة الدليل على ذلك وإلا فليس من الإنصاف الإبقاء على المدعيات بجميع أنواعها معلّقة في شباك الهواء عرضة للحذف والتهميش؛ لأنّها مبتورة الدليل علمياً وقبل إقامة الدليل على الشمول نقول:

إنّ هذه الشمولية لهذا الدين واستيعابه للواقع بكلّ أصعدته ينتج عنها خلود هذا الدين وصلاحية منهجه لكلّ زمان ومكان ولكن بعد أن يتوافر الشرط الأساس له وهو توافر المساحة التطبيقية والأنموذج الصالح الذي سيمارس عملية التطبيق في الخارج (على أرض الواقع) وبهذا الشرط المذكور يمكن لهذه الشريعة أن تفرغ نظرياتها المتعددة على مساحة التطبيق والارتقاء بالمجتمع إلى أقصى غاياته التكاملية.

وهذا الشرط نفسه مشروط بعدم توافر النقيض لأنّ النقيض سيكون المانع من استمرار التطبيق المذكور والمقيد لأيدي الأنموذج الصالح والمعرقل الثقيل في وجه الحركة التكاملية المطلوبة والتي بها يتم اختصار الزمان وتوفير الملاءمة للمكان.

والنقيض المذكور هو ابتلاء الشريعة بالأنموذج الكَل على عاتقها بممارساته الإستبدادية والنفعية التي بها تؤول أوضاع الأمّة إلى التصحّر والجمود والتشويه، والذي يزيد من مساحة التخريب في مساحاتها ممّا يشوّه صورتها في نظر القاصي فضلاً عن الداني، الذي دبّ اليأس في بقعة نفسه وأوجد للشريعة فيها صورة ناقصة الملامح مشوّهه المعالم يجعلها في مصاف الأديان والأطروحات الوضعية السائدة في العالم، ويجعله يمارس عملية الانتظار التي قد تشكّل له في غالب الأحيان سلباً.

إن إزدياد رقعة التخريب في مساحة الأمّة أمر يتطلب اهتزازات قوية جداً في تلك المساحات المخربة في مساحة الأمّة لتعيد للشريعة حيويتها وتصحح مسار التطبيق في مكوناتها تجعل الرسالي يسير خلفها بخطى واثقة وسنشير إلى الاهتزازات التي استلزمتها خرابية المساحة، ولكن بعد أن نقيم الدليل على شمولية الشريعة واستيعابها للواقع بجميع نواحيه.

الدليل الأول: النصوص التي تؤكّد بوضوح جلي شمولية الشريعة وامتداديتها ومنها:

١ــ قوله تعالى: **{ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكلّ شيء}**[٨].

٢ــ وصف الإمام علي (ع) القرآن بقوله: **(ذلك القرآن فاستنطقوه..... إلا أنّ فيه ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم)**[٩].

الدليل الثاني: رفض الإسلام للنظم البشرية وقد دل عليه ما ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى: **{إن الحكم إلا لله}**[١٠] و**{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}**[١١].

وبنظرة فاحصة للنصوص المتقدمة في الدليل الأول على شمول الشريعة نجد أن المنهج المنزل من السماء فيه تبيان لكلّ شيء وهو أمر مقطوع به؛ لأنّ الإخبار من السماء لا يداخله الشكّ والريب والعدم.

وكذا فيما يخص وصف سيد المتقين علي بن أبي طالب سلام الله عليه للقرآن بأنّه يحوي بين دفتيه الماضي والحاضر والمستقبل والعلاج والتنظيم هو الدليل على عدم مغادرة المنهج السماوي لشيء يخص الحياة بل ذكره على وجه الدقة ولكن بشرط استنطاق القرآن الكريم وأما قول صادق العترة سلام الله عليه في معرض حديثه عن الشريعة الشاملة بقوله المتضمن **(كلّ)** وبضربه المثال **(حتّى الأرش في الخدش)** غني عن الخوض فيه؛ لأنّه اختصر الطريق لنا في مسالة الشمول والامتداد لتلك الشريعة السمحة ولأنها إذا كانت تهتم ببيان غرامة الخدش فمن الضروري اهتمامها بضمان امتداد المنهج.

الدليل الثالث: فشل الأنظمة القائمة وعدم صلاحيتها للاستمرار والبقاء.

الدليل الرابع: الواقع التطبيقي.

لو نظرنا إلى مصادر التشريع في الإسلام (القرآن والسنة) لوجدنا تشريعات تشمل جميع نواحي الحياة الاقتصادية كما ورد في قوله تعالى: **{كلوا واشربوا ولا تسرفوا}**[١٢] ، وقول الإمام الصادق: **(ضمنت لمن اقتصد بأنّ لا يفتقر)**[١٣] ، وكذا قوله (ع): **(الاقتصاد نصف المعيشة)**[١٤] وفي السياسة كقولهم: **(آلة الرياسة سعة الصدر)**[١٥]، وكقوله (ص) **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)**[١٦] وفي الإدارة **(ونظم أمركم)**[١٧]

وفي الأخلاق **(خياركم أحاسنكم أخلاقا....)** [١٨] وفي الحقوق وغيرها من التشريعات التي تغطّي نواحي الحياةكلها، وقد رأينا الواقع التطبيقي لهذه التشريعات لاسيما في زمن الوحي

الإلهي وقد لحظنا أيضاً استمرارية المنهج وشموليته إلى أن تعرّضت المساحة التطبيقية للتشريع لعملية التخريب التي استدعت اهتزازات قوية كي تعيد للمنهج حيويته وتبعث الثقة في نفوس رسالية من جديد ومن هذه الاهتزازات القوية هي الثورة الحسينية الخالدة التي استمدت خلودها من خلال عالمية الأنموذج الرافض للاستبداد والانحراف ومن خلال إعادتها الحيوية للدين التي بها يضمن عملية الاستمرار والشمول التي بدأها الرسول الأعظم (ص) وأصحابه المخلصون بعملية التثوير على الواقع الفاسد الذي زاد في نسبة الهوة العريقة التي حصلت في مساحة التطبيق.

المبحث الثاني: خطابات التجذر والاستمرار في الثورة الحسينية

الثورة الحسينية تتناول أهمّ قضية من قضايا الأمّة الإسلاميّة والتي تتمثّل في تعرض بناها الفكرية لهجمات قوية في ظل النظام العالمي الجديد وهذه الهجمات معضودة بمفاهيم خاطئة بالكون والحياة.

ولابد من تأسيس منهجية فكرية صحيحة لتحصين واقع الأمّة الفكري والذود عنه ولا بد من دراسة التاريخ دراسة موضوعية لإبراز الصورة اللامعة له والأهم من ذلك إيجاد نماذج نقية تبرز للعالم صورة الدين الحية القابلة إلى تصدير رؤاه الفكرية القابلة على الثبات والصمود في وجه الثقافات والنظم التي تعتمد في واقعها سياسة (ثقافة) الإلغاء والتهميش، وإرساء المرموزات الدينية العظيمة للأجيال القادمة لأنّها تشكل مصدراً من مصادر القوة والانتماء في حاضر الأمّة ومستقبلها.

ولهذا نرى أنّ الدين الإسلامي يمتاز عن غيره من الأديان بأنّه لا يفرّق بين الفكر والسلوك ويربطها بالعقيدة على مساحة التطبيق ولهذا أشار أحد مفكري الإسلام إذ قال: **(إنّ علينا إبكاء الناس على المصيبة باستمرار ولكن في رثاء البطل... اجلسوا في رثاء البطل حتّى تعرفوا معنى عزة النفس ومعنى الشرف والإنسانية)**[١٩].

هذه الرؤى وما سواها تحقق لنا عملية العصف اللازمة في الأذهان تجعلها قادرة على العطاء من أجل الأمّة ومن ثمّ تسهم في إكمال مسيرة التكامل الذي لا يحصل إلا بتطبيق قيم السماء كمنهجية صالحة للامتداد ولكن بوساطة المناخات الملائمة التي يجب أن تتوافر لكي يتحقق الإبداع المنشود ويكتمل الوعي لدى الأمّة ويكون البكاء الذي حببت إليه الشريعة بكاء على

البطل ليس لأنه رمز خالد فحسب بل بما هو رسالي مخلص مع أصحابه المخلصين وأهل بيته ضحى بغزير الدم من أجل الإصلاح في مساحة الشريعة المخربة ومن أجل إعادة الثقة للجماهير (للأمة) بدورها الرسالي ذي الشمولية والاستيعاب.

وقد ناقشنا صلاحية الدين الإسلامي للامتداد والشمول وأقمنا عليه الأدلة، وهنا نحاول الربط بين الاستمرارية المذكورة وبين الأنموذج الثوري من زاوية نسأل عن طريقها: هل يتمتع الأنموذج الثوري بالاستمرارية لكي يتلاءم مع استمرارية المنهج وشموليته أم تكفي صلاحية المنهج للاستمرار فقط من دون أنموذجه؟

فلو قلنا بعدم الملازمة يستلزم عدم التوازن في الكفة إذ كيف يتلاءم المنهج القابل للاستمرار في استمراريته بدون استمرار الأنموذج الثوري.

إذن لابدّ من القول بالملازمة وعدم الانفكاك بين الطرفين لكي نضمن الاستمرارية بكلّ أبعادها ولكي نتخلص من حالة الشكّ في الاستمرارية للمنهج ورفع النقض الوارد في المقام.

وبناءً على هذا لابد من امتدادية الأنموذج الثوري وهو هنا ممتد، إذ قال الإمام الحسين (ع): **(إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة)**[٢٠]

هذا المقطع من كلام الإمام الحسين (ع) يوضح تفاصيل الاستمرار للأنموذج الثوري المعتمد في عملية الإصلاح في المساحة المخربة من أرضية الأمّة، على عمق الجذور المرتبطة بالسماء والمؤيدة بها.

وقد أحسّ يزيد بهذا الأنموذج وأحسّ بخطره كما أحسّت بطانته المنتفعة من قربها من أميرها الوهمي، وإنّ هذا الأنموذج يشكل مصدراً للثورة ويهدد المصالح المادية لهم ويعلق مشروعهم التشويهي المعتمد على سياسة التزييف في بناء الأمّة العقدي والتاريخي. وهذه الاستمرارية تسعى إلى قلب الموازين التي تعتمد عليها آليات الاستعباد والاستبعاد والاستبداد وآليات مصادرة الحقوق والحريات والتلاعب بمصائر الأمّة.

ستقلبها بوساطة حلّ المشكلات الاجتماعية عن طريق بثّ قيم الفضيلة واستبدال الموروث المادي والارتقاء بالإنسان إلى عوالم أكثر كمالا وعظمة.

هذا الاستمرار أسهمت فيه عوامل مختلفة، على قمّة هرمها الوراثة ذلك العامل الخطير الكمال كما لمسناه في تركيبة الإمام الحسين (ع) الكمالية **(إنا أهل بيت النبوة)** كونها مختصة لم يشاركه أحد فيها، كما أنّها في الوقت نفسه جلبت له هذا الكمّ الهائل من مشاعر الحقد والكراهية لدى ذوي النزعات المادية مختلّي التركيب وراثيا (التركيب النفسي).

وهذا الاستمرار للأنموذج الثوري مستمد من شعار إسلامي غاية في الخطورة على الآخرين؛ لأنّه مهدد لهم في كل مفردة من مفرداته ألا وهو شعار **(إن أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر)**[٢١].

هذا الشعار هو اللائحة السياسية للمنهج الممتد حمله وحكم به مفردات الحياة والدولة وألزم الأمّة المشاركة في صنع وتطبيق هذه اللائحة التي ترفض مفهوم الاستبداد والعبثية بجميع صورها وأيا كان مصدرها.

ولم يكن الإمام(ع) غافلاً عمّا تمارسه السلطة الأموية بقيادة العبثي يزيد وهو يلاحق الرساليين ويحصي عليهم الأنفاس استمرارا منه لمنهجية الطلقاء.

والإمام يرى مقدار الخسف الحاصل في أرضية الأمّة الإسلامية العقدية والمبدئية وإنْ استمرّ الوضع بها كذلك سوف لم يبق لهذا المنهج الرسالي شيء يذكر وسيسقط الإسلام ولم تقم له قائمة.

فكان تشخيصاً دقيقاً وحاذقاً استدعى من الإمام الحسين (ع) أن يخطط للثورة؛ كي تستعيد الأمّة عافيتها وكي يضع الأمور في نصابها الصحيح كما جسّده النبي الأكرم(ص)ولذا نرى أنّ الإمام (ع) اعتمد سلوكيات يعلم مسبقاً أنّها ستكلفه المزيد من التضحيات فتارة نراه يقول:**(ومثلي لا يبايع مثله)** وأخرى يقول:**(إنّه أحقّ بالخلافة)**، وعلى وفق هذه السلوكيات وما سواها يعلن إنّه الأنموذج الأوحد والأمثل لتطبيق النهج الرسالي.

وأحقية الخلافة ليست حكراً وملكاً مادياً كما يراه الاتجاه اليزيدي حتّى يأتي دور الصراعات الشخصية هنا بين من هو ملك وآخر يرى الأحقية له بالخلافة، بل المسالة تتعلق بروح المنهج السماوي المتكامل؛ إذ قطع سبل المنازعة في الموضوع ونصّ عليها في مواطن عدة وحيا وحديثا، وتغنينا مسألة عليها مئة وعشرون ألف شاهد وقعت في بقعة اسمها خم حددت بموجبها مواصفات الخليفة ونُصّ عليه وقيل فيها بخ بخ....

ومن التطبيق أنّ هذه المواصفات والعقلية المذكورة لا تنسجم مع روح المبدأ المادي للتيارات المعاكسة لأنّها ستترجم إلى سلوكيات ونهج سياسة تبقى تحرك الأجيال على مرّ العصور والأزمان ملازمة لاستمرارية المنهج وامتداده.

وهكذا تحرك الإمام (ع)ليحدث في الأمّة المقهورة الضعيفة التي ستعيدها إلى جادة الصواب بعد أن أوشكت على تقبّل الفكرة اليزيدية التي أخذت بالتجذّر والالتصاق، وفعلاً تحرك الإمام (ع).

المبحث الثالث: خطابات التحرك وسمو الأهداف

عندما فشل الوليد في انتزاع البيعة من الإمام الحسين (ع) فقد خرج الإمام (ع)من المجلس واستعد للخروج من المدينة في جوف ليل وهو يتلو قوله تعالى:**{فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجني من القوم الظالمين}**[٢٢]، وسلك الطريق المعتاد حتّى طلب منه أن يغيّر المسلك فأبى قائلاً: **(والله لا أفارق الطريق الأعظم حتّى يقضي الله ما هو قاض)** والسؤال هنا عن تغيير المسلك في سير الجادة لا عن مفارقة الطريق الأعظم ورد على لسان البطل الثائر ذي الامتدادية والأمثل في أحقية الخلافة الشرعية لخصوصياته المتعددة المرتبطة بوحي السماء من جانب ومن جانب آخر السلوك الأخلاقي العظيم الذي تهواه نفس العدو قبل الصديق.

إنّ الجواب يدلّ على حتمية التحرك في الثورة والتعبير عن ثوابت التحرك هي الأساس الذي لا يخالطه الشكّ في عملية الإصلاح هذا الثابت نابع عن معرفية تامة لأمور الأمّة آنذاك كيف وهو الخبير ابن الوصي الذي يدرك ويعلم أن صلاح الأمّة لا يتم إلا بالثورة ولكن أي ثورة الثورة المدروسة الخطى ذات الثوابت العميقة التي تمثل المرتكز الذي يعتمد عليه في عملية التثوير الحتمية الوقوع.

دخل مكّة ٣ شعبان سنة٦٠ للهجرة فأقام فيها أربعة أشهر وأياماً، وهي أقدس مكان تهوى إليه القلوب من كلّ فج عميق، التف حوله المسلمون وكعادة أهل العلم لا يرون زكاته إلا بتعليمه الناس، علمهم من فيض علمه لأنّه ابن الوصي كما وصف نفسه (ومهبط الوحي)، ولم يتم حجه في تلك السنة، فأعلن النداء: **(ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إنشاء الله تعالى)**[٢٣]، وهي صرخة في واقع الأمّة غاية في الصراحة والشفافية خالية من نظرية المؤامرة التي غالباً ما تحاك خلف الكواليس، ودعوة طوعية لكلّ من يجد في نفسه توافر الشروط في البذل والتوطن والاستعداد للرحيل بهذه الصورة المثالية التي لم يشهد لها التاريخ من قبل أنّها غاية في الصراحة والوضوح خالية من كلّ الممارسات القسرية، وهذا نوع من المنهجية في التحرك الواعي الذي يضمن للأمة كرامتها المهدورة ويعيد إليها حالة الوعي المغيب في الحركة.

إنّ روح الإمام الحسين (ع) روح تجري العقيدة في عروقها ولا يتحرك إلا بحسب ما يمليه عليه الواجب الشرعي في الحفاظ على عقيدة الأمّة التي تعرضت للاهتزاز والانهيار لولا

خروجه الذي صحح المسار مع علمه بأنّ خاتمة المطاف في التحرك قتل وسبي، لكن هذا لم يثنه عن عزمه في الحركة؛ ولذا نراه يخطط للثورة ابتداءً من رفض البيعة والخروج من المدينة مروراً بالإقامة المؤقتة في مكّة وانتهاء بحفر الخندق وتفقد ساحة المعركة المقبلة، وهي عملية غاية الدقّة لا تدلّ إلا على فكر القائد وشمولية النظرة القيادية عنده وتدلّ على أنّ الهدف الذي يسعى إليه الإمام الحسين (ع)روحي له الفداء أسمى من كلّ الموازين المادية؛ لأنّه نابع من علم الإمام ابن الوصي الذي به فتح الله وبه يختم ومثلي لا يبايع مثله.

لقد شهدت الأمّة كثيراً من الثورات ذات الطابع الإصلاحي ووقف خلفها كثيرون وروّجوا لها كحالات إصلاحية تهدف إلى تصحيح مسار الأمّة المنحرف، ولكن سرعان ما خبت وهجيّه تلك الثورات وتعرّضت للتآكل وبقيت مجرّد أحداث مرّ عليها الزمن وجزءاً من تراث الأمّة، وبقيت آثارها السلبية الطابع تنعكس على واقع الأمّة، نتيجة لردود الأفعال التي أحدثتها في ساحة الأمّة، والمتقصّي لأسباب الانحسار عن مسرح الأحداث يجد أنّ مثل هذه الثورات تطلق شعارات إصلاحية الطابع لكنها تخفي خلفها الأغراض الحقيقية لنفوس مدّعيها الأمر الذي يدعو إلى ضبابية أهدافها فتخلو تلك الأهداف من الاستناد التام إلى الدعامة التي تمنحها عنصر القوة والاستمرار المستمد من الاتّكاء على العقيدة التي تؤمّن الثبات والامتداد والمقبولية.

لذا نرى الإمام الحسين (ع)أعلن عن سموّ الهدف الذي من أجله خرج وهو أمر لم تألفه الأمّة من قبل فالإعلان عن الهدف الذي قد يتيح للمتربص أن ينقضّ على المشروع في مهده، ولاسيما من شخص ورث الامتداد من بيت الوصي هو أسمى ما في الثورة، إذ لم يترك للأمة خيار إما أو، ولا ثالث لهما: **(إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمد(ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)**[٢٤].

وهو شعار لا يختلط به غيره مع علمه بما سيؤول إليه الأمر من قتل وأسر وسبي، لكنّه يدلّ على إعلائية الهدف وسموّه، ولذا صمّم على السير إلى كربلاء، وكلمة السير إلى كربلاء تستوقفنا للتأمّل فالسفير أرسل إلى الكوفة العاصمة الحاضرة وتقصّي السير إلى كربلاء حيث ــ إلى ــ الغائية هنا يرجع بنا إلى خارطة الأحداث التي رسمها لنا الأنموذج المتصل بالسماء إذ قال: **(سيقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء)**.

ولو تمّت الملازمة بين قابلية المنهج للاستمرار وبين صلاحية الأنموذج النقي للاستمرار تتم

قواعد العملية الإصلاحية على أفضل صورة رسمتها السماء؛ لأنّ هناك فرقاً واضحاً بين الواقع التطبيقي لهذا المنهج الرسالي، ولعل من أبرز الإشكاليات التي واجهت المنهج عدم إتاحة الفرصة المناسبة له بالنزول إلى حيّز التطبيق.

قال الإمام الحسين(ع): **(من رأى منكم سلطانا جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لحدّ الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله)**[٢٥].

وأغلقت الأبواب على من لم يخرج للجهاد؛ لذا نرى الذين صمدوا في الميدان هم الذين لم يختاروا على الخلود أمراً غيره فاشتروا رضا الله بأغلى الأثمان **(إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة)**[٢٦].

ومعلوم لذي كلّ لب أنّ النخبة لم تصل إلى مرحلة النخبوية إلا بعد أن مرّت بعمليات استجلاء وغربلة للنوايا اجتازوا جميع مراحلها فوصلوا إلى مرحلة توطين النفس على الموت فكانت النتيجة **(والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنيّة دوني إستيناس الطفل بمحالب أمّه)** [٢٧].

وهذه الخطّة في استجلاء نوايا القوم أثبتت مقدار إخلاصهم في الفداء والتضحية في سبيل العقيدة وكرامة الإنسان، وتبقى ثورة الإمام الحسين (ع) نبراساً لكلّ من يسعى للبحث عن عزّة النفس ومعنى الشرف والإنسانية.

المبحث الرابع: خطابات الوضوح في الحركة و دور الأسوة في القيادة

إنّ الإعلان عن هدفيه الثورة عند الإمام (ع) لم يكن منفصلاً عن التحرك منذ البداية مع العلم المسبق بما ستؤول إليه الأحداث فيما بعد التحرك، وبما أنّ الإمام (ع) خاطب الأمّة واستنهضها لأجل إزالة التشويه الحاصل في ساحة العقيدة لكنّه في الوقت نفسه مارس الدور القيادي الكامل في إدارة التحرك فمنذ أن وصلت إليه الكتب المتوالية من الأمّة شكّلت عنده الخطاب الشرعي اللازم للتحرك نحو الثورة فباشر التحرك المدروس.

فعبد الله بن المطيع عندما لقي الإمام (ع)في طريق مكّة قال له: **(جعلت فداك إلى أين تريد؟** قال الإمام(ع):**(أما الآن فمكة).**

ثمّ حذّره من الكوفة لشؤمها وخذلان أهلها، ثمّ أشار عليه بملازمة الحرم المكي ظنّاً منه أنّ

السلطة آنذاك تأخذ حرمة الحرم بعين الاعتبار وهو ظنّ يختلف عن ظنّ القيادة الحكيمة ومنهجيتها الرائدة في الإصلاح الذي اتّبعه الإمام (ع) ومع هذا فإنّ المستشف من قول ابن مطيع بعد طلبه المكوث في مكّة أن تتخذ مكّة كقاعدة للإمام بدليل قوله: **(ويتداعى إليك الناس من كلّ جانب...)** مع أنّ الواقع الحياتي الذي أسندت إليه قيادة الإمام (ع) يتطلّب تنقية الأهداف الإصلاحية لتتناسب مع إشكاليات الأمّة المعرّضة للتشويه والاهتزاز في العقيدة.

ولو نظرنا إلى مكوّنات الساحة السياسيّة التي شكّلت عناصر التحرك للثورة ابتداءً من التحرك نحو الطف وإرسال السفير الفدائي العظيم المخلص صاحب المثل والمساحة الأخلاقية الرفيعة المستوى، وانتهاءً بكربلاء الدم والسيف والشهادة، وبهذا الوجه يتّضح مدى عمق العبقرية التي يمتلكها الإمام الحسين (ع) في الثورة، فنجح في استدامة روح الثورة عبر المواقف التي تعرض لها في كلّ مراحل التحرك، فالطرماح بن عدي الطائي يقترح عليه أن يحتمي بطئ وأنّه يكفل له عشرين ألف طائي حتّى يتبيّن الأمر.

ورفض هذا العرض الذي يبدو مغرياً لأول وهلة فإنّ عملية الاحتماء لو أراد أن يمارسها الإمام (ع) يتمكن منها قبل أن يتحرك أو قبل أن يصل إلى مشارف طئ، مع علمه أنّ هذه العملية ستلغي مشروع الثورة الحتمية الوقوع سواء احتمى أم لم يحتمِ.

وأنّ المسالة ليست ذات طابع قبلي حتّى يلجأ إلى الاستجارة بالقبائل الأخرى لدفع القتل عن المستجير، بل هي ذات أبعاد أكبر من هذه التصورات وهي مسألة تعود إلى أنّ الإمام الحسين (ع) يمثل الضمير الواعي للأمة وثقافة لا يمكن مجاراتها؛ نظراً لامتداداتها المتشعبة في المجتمع وقرب نسبها وعهدها بالوحي السماوي؛ الذي أمدها بكلّ قيم السماء، فهذا النوع من الوعي أفرز عنصراً مهماً في واقع الأمّة النخبوي، ألا وهو عنصر الثبات والاستماتة في سبيل المبدأ الذي انتهج أسلوباً صعباً يمثل أعلى درجات الإيمان يتمثّل ببذل أغلى ما يملك وهي الحياة في سبيل العقيدة، وهو الطريق الذي لا ثالث له إما، أو، إمّا النصر الذي هو إحدى الحسنين أو الشهادة ومعناها الخلود الأخروي الذي وعدت به السماء بقوله تعالى: **{إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة}**[٢٨].

لا شكّ في أنّ الدور القيادي الذي لعبه الإمام الحسين (ع) ولّد جانباً معنوياً استمدّ منه الثوار ضمانة نجاح أهداف الثورة الحسينية؛ لأنّ الإيمان الراسخ بسلامة التحرك وخلوّه من الرؤى

الدنيوية التي غالباً ما تعمل على تحجّر الثورات وجمودها، هو الذي جعل النخبة واثقة الخطى قوية العزيمة، وهذا الإيمان أنتج بهم أسباب الإبداع الشخصي الذي بدوره شكّل العنصر الإبداعي المتكامل للثورة وقائدها وأصحابه؛ لأنّهم وجدوا الأسوة المتكاملة الشخصيّة الممتدة في العمق الرسالي، وهذه الأسوة شكّلت الدافع المعنوي العالي الدقّة للنخبة الثائرة وأعطتهم الزخوم اللازمة للاستمرار باتجاه الكمال.

فالأسوة هي القيادة العميقة المسؤولية ذات الحكمة العالية والشجاعة الفذّة تثبت الوعي لدى الأمّة سياسياً وجعلت النخبة تُؤثر الحدث على العيش المتّصف بالذلّة والخنوع.

لذا نرى الأسوة القائد (الإمام روحي له الفداء) تقول: **(أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللّهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة وعلّمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين)**[٢٩].

إذن مصدر القوّة هو الارتباط بالسماء من جهة، وأداء التكاليف المناطة بالمخلوقين من جهة أخرى، وفي البين إلهاب وتوهّج للوعي يجعله قابلا لإعلان الرفض لكلّ أنواع الاستبداد أو الاستلاب الممارس في واقع الأمّة سياسياً وفكرياً.وبهذه الدقّة التي امتازت بها الأسوة المخططة للثورة والقائدة لها تستطيع الأمّة التمييز بين الحقّ والباطل وبين الخير والشر.

وبهذا الارتباط السماوي الذي أشرنا إليه الذي هو امتداد لمنهج السماء في الأرض يتمثل في حقيقة النبوة وخليفتها الإمامة، التي نصّت السماء على اقتفاء أثرها للخروج من الظلمات إلى النور بتقويم حركة التاريخ والواقع، وهذا النوع من الامتداد لا يعتريه أدنى ريب وهو مساهم مساهمة فعالة في رفع معنويات النخبة الواعية وجعلها تستميت في سبيل المبادئ السامية مع العلم القطعي بتلك النتيجة النهائية، التي وضعها لهم القائد، الذي أخذ على عاتقه تهيئة كلّ مستلزمات الحرب انطلاقاً من قوله تعالى **{وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ترهبون به عدو الله وعدوكم}**[٣٠]، وانتهاءً بحفر الخندق خلف معسكر القيادة؛ وذلك لاستخدامه على وفق استخدامات الحرب الوشيكة الوقوع بل الحتمية الوقوع، ممّا جعل النخبة الرسالية تقطع بعدم التقصير في مسألة التابع للمتبوع؛ لذا نراهم يوم الواقعة كانوا على استعداد منقطع النظير رابطي الجأش شديدي المراس، ممّا حقق المراد في الآية الكريمة بإيجاد الرهبة في قلوب الأعداء (بصنفيهم) أعداء الله وأعداءهم أوجدوا الرهبة في قلوب الأعداء باعتمادهم الأسباب

الطبيعية في المواجهة بعد الاعتماد على عنصر الغيب الذي ضمن للجميع التكامل من الحقوق **{إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة}**[٣١]، وزوّدهم بعناصر الاستماتة وأعطاهم الآيات المناسبة لخوض غمار المعركة الرابحة في الميدان الكر بلائي الذي حوى الكون بأجمعه يوم التقى فيه صنفان من القوة مميزان بخصائص ميّزت أحدهما عن الآخر، صنف مثّل كلّ قوى الخير في الكون، وآخر مثّل كلّ قوى الشرّ المتمثلة بالأنانيات القاتلة التي أخلّت بمسيرة الإصلاح التي تبنتها قوى الخير المتمثلة بأبطالها الشرعيين ذوي التأييد السماوي الذين خاضوا المعركة بأخلاقية لا نظير لها في التاريخ وابتعدوا فيها عن كلّ الممارسات الإلجائية إلى الطاعة والانخراط في المعركة، إذ يقول القائد الذي أخذ على عاتقه تنفيذ أمر السماء **(شاء الله أن يراني قتيلاً)**، ويقول **(لا أكرهكم من أحب أن يمضي أوفيناه كراءه وأحسنّا صحبته ومن أحبّ أن يفارقنا من مكانه هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض)**[٣٢].

أراد أن يعلم التاريخ بجميع أجياله المنهجية الصالحة للتعامل مع الجماهير الثائرة للوصول بها إلى أفضل النتائج المرجوة في عملية التغيير والإصلاح في مساحات الأمّة المخربة من دون اللجوء إلى أساليب من شأنها أن تحقق عمليات انتصار وهمية لا تلبث أن تفارق التاريخ وتتلاشى مع أول استيقاظات الأمم صرخات الحسين (ع) التي هتفت بها حناجر الموحّدين يوم المنازلة فكان النصر حليفاً له ولأتباعه بعد أن وقف منادياً أصحابه: **(ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم حرج مني ولا ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتّى يفرج الله فإنّ القوم إنّما يطلبونني ولقد أصابوني لهوا عن طلب غيري)**[٣٣].

هذه الروحية الخاصّة في الخطاب تناسب الإعداد العسكري الذي اتبعه القائد في تخطيطه لقيادة النخبة الرسالية المؤمنة التي اختارت الفناء معه على البقاء في ظلّ أجواء حرّة لم تعهدها الصراعات التي ذكرها لنا التاريخ، بعيدة عن كلّ أجواء العنف والاستعباد والاستبداد والتفرّد المقيت وهذه الأجواء جعلت الرسالي يدافع عن العقيدة بإبداع خلّده في ذاكرة الأجيال؛ لأنّ قائده كان معه بمنتهى الصدق والصراحة والنقاء حتّى مع من هو في معسكر الندّ كما في جوابه للوليد حاكم المدينة: **(أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا يفتح الله**

وبنا يختم ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والخمور ومثلي لا يبايع مثله)، فهذه المنهجية الصريحة الصادقة نراها تمارس مع الجميع بلا استثناء **(من أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام)**[٣٤] وفعلاً كان الباقي هو النخبة التي حملت أعباء المرحلة الخطيرة في تاريخ الرسالة التي أعادوا بها للدين رونقه وفعاليته التي أخمدتها الأهواء والأطماع والممالك الواهية ذات العقد الدنيئة.

فثمة أخلاقية خاصّة مُورست مع الجميع شملت القريب والبعيد ممّن كان معه شدّ الرحال نحو الحياة الأزلية؛ لذا نراه يخاطب النخبة لاستجلاء النوايا ولكي يرتفع الغدر فيما بعد القول الصادق:**(أخاف ألا تعلموا ذلك أو تعلموا ولا تنصرفوا للحياء منّي ويحرم المكر والخديعة عندنا أهل البيت)**[٣٥].

فكانت الواقعة وقد وصف القائد فيها أصحابه: **(لا أعلم أصحاباً أوفى من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنّي خيراً)**[٣٦].

وقد تمخّض عن قوله أروع النتائج في الدفاع عن العقيدة والمبدأ في أروع صور الاستقبال القتالي متمثلاً بقول الأسدي بالأنصار قائلاً: **(فإذا صار الصباح فاوّل من يبرز إلى القوم أنتم نحن نتقدّمهم للقتال ولا نرى هاشمياً مضرجاً بدمه وفينا عرق يضرب لئلا يقول الناس قدّموا ساداتهم للقتال وبخلوا علينا بأنفسهم فهزّ أصحابه سيوفهم فقالوا: نحن على ما أنت عليه)**[٣٧].

وقد نقل لنا التاريخ أجمل المشاهد الإبداعية في الاستماتة والامتثال تدلّ على نضوج الوعي لدى النخبة الواعية فثمة شيخ كبير طاعن في السنّ، وامرأة عجوز، وطفل رضيع، وشباب بعمر الورود، الجميع أعطوا المسوغات اللازمة لخلود الثورة وقائدها وأصحابه الأوفياء، في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) منهجاً صالحاً مستمراً قابلاً للشمول والامتداد.

المبحث الخامس: طبيعة الصراع والنتائج الحتمية الوقوع

مع إنّ عاشوراء الحسين (ع) تتضمن المأساة والتحدّي فقد أحدثت في المجتمع الذي رضي بالذلّ والهوان هزات عنيفة أعادت له بعض وعيه المفقود وإرادته المستلبة، وهذا اللون من الوعي لم يفهمه المشفق والمعارض حينما نصحه بالتأجيل أو بتغيير المسار، فقد ردّ عليهم بقوله المستمد من وحي النبوّة المرتبط بالسماء: **(والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من**

جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمة) [٣٨].

ولأنّه يعلم أنّ السنن التاريخية التي تحكم الحياة لابد من تحريكها بواسطة هزٍّ وعصف ضمير الإنسان وإنتاج حالة الوعي لدى الأمة.والغرض من عملية تحريك السنن لأجل إصلاح القيم وبناء ما هو صالح للحياة ، مع أنّ بعضهم قد منّى الإمام بالأمان والمواصلة وفتح صفحة جديدة تقوم على حسن المعاشرة والجوار فقال الإمام: **(قد غسلت يدي من الحياة، وعزمت على تنفيذ أمر الله)**[٣٩].

وأنّ المشفق قد عرض على الإمام المشورة والنصح غير المستندين إلى حقيقة وقوع الأمر الحتمي فقال: **(يا أبا عبد الله إنّه ليس يخفى علي أنّ الرأي ما رأيت ولكن الله لا يغلب على أمره)**[٤٠].

ومع هذا فالإمام قاطع بحتمية الخروج؛ لأجل تصحيح المسارات الخاطئة في الشريعة والحياة ولم يعر أهمية لما قد أبدي له من المشفق والمعارض فسار بوعيه السماوي ليحطم أجهزة الحكم ومؤسساته الخاطئة بطريقة حسيني معتمدة على الوعي والفهم الدقيق، وهو عصارة الفهم الحسيني لمجريات الأمور، فحصلت عملية التغيير المتوخاة في الخروج الحسيني وتغيرت بنى الإنسان الداخلية وخلقت الوعي لديه بكشف الزيف وتحطيمه، وكشف الممارسات الجاهلية التي لا تمتّ إلى الدين بصلة وكذلك بثّت تلك النهضة في النفوس عقدة جلد الذات وضرورة إماتة النفس التي لم تشارك ولم تنصر في تلك النهضة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أنّ تلك النهضة مهّدت للعديد من الثورات التي استمدّت روحها من واقعة كربلاء الشهادة ومنها على سبيل المثال: ثورة المدينة، وثورة التوابين، وثورة المختار الثقفي، وثورة طرف ابن المغبر، وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨١ هـ.، وثورة زيد بن الحسين (ع) ١٢١هـ..

ولا يخفى على اللبيب أنّ العنصر الفاعل للحياة هو الإنسان صاحب الدور الريادي في مسيرة رسم حركة التاريخ وتحقيق الهدف المنشود من خلقته**{يا أيّها الإنسان إنّك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه}**[٤١] ، وغالبا ما يتعرّض هذا العنصر الفعال إلى عملية هدم تشمل جميع بنآه الثقافية والفكرية، بل على جميع الأصعدة.

والإنسان كفرد مساهم ضمن جماعة يطلق عليها المجتمع، كلاهما يتعرض إلى عمليات

الاستلاب والغزو المسببين عن عملية يطلق عليها الركون إلى الغير (الظالم)، تلك العملية نصّ عليها الكتاب الكريم بقوله تعالى: **{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار}**[٤٢].

وتلك العملية (الركون) تؤثّر في هدم البناء الديني لكلا الطرفين(الفرد والمجتمع) وتسبب لهما الإعاقة وتعطيل المسارات الإصلاحية عندهما؛ لأنّها تحدث فيهما الشلل التام أو شبه التام ممّا يجعلهما غير شاعرين بما ينويان له أو على الأقل يجعلهما يغضّان الطرف فيؤثران الصمت على الكلام والاستكانة على العمل.

وما جرى في كربلاء وما سبقها من أحداث يندى لها جبين الإنسانية جمعاء إذ مثلت صراعاً بين ثقافتين إحداهما مستندة في جذريتها إلى السماء ومؤيدة بها ومتغلغلة في أعماق الفطرة الإنسانية، والأخرى سطحية خالية من القيم وتفتقر في النشأة والتكون إلى ما يؤيّدها، لكنها تستعمل الآليات المحرمة ممّا لا تستعمله الأولى، فلغة الثقافة الأولى نزاهتها وشعورها الدائم بضرورة المحافظة على القيم والسعي الحثيث لعدم هدمها بل هي القيم بعينها، وأمّا لغة الثقافة الثانية تطرح نفسها على أنّها الأمثل ولو سمح لها بالتمدد لأتت على كلّ شيء ولذا كان الإمام الحسين(ع) مصيباً على الدوام بقوله: **(على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد)**.

فالصراع لم يكن مجرّد خروج على حكم جائر، بل هو ثورة على القيم الفاسدة التي طغت على المجتمع وأدّت إلى تلك الخرابية الواسعة التي شملت وشلّت نظام القيم الصحيحة في الحياة، وإلا لو كان الأمر كما يصوّره بعضهم لأمكن تسوية الأمر وإعطاء البيعة والعيش بوفور تقتضيه مفرداتها، فالإمام عند رفضه البيعة ليزيد ووصفه له: **(شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسوق)** لم يكن رفضه مجرداً عن الأسباب الداعية له، بل من أشدّه مواجهة الانحراف الحاصل في ثوابت الشريعة ومبادئها، مما يجعل الإمام (ع) رافضاً أبداً لمثل هذه البيعة، واستمر الصراع إلى أن حصلت المواجهة الكبرى (كربلاء) فبان الصبح لذي عينين، وهو ليس صراعاً جديداً بل له من سابقاته من النظائر مما لا تختلف عنه بكثير، فمنذ بدء الدعوة الإسلامية أعلنت ثقافة الضدّ: قريش وحلفاؤها – عرباً ويهوداً– أعلنت الحرب منكرة وحي السماء تارة ومشككة به أخرى.

والنظير الثاني ما آل إليه الأمر في صفين والجمل، وكلا النظيرين جاء ليصحح المسارات الخاطئة وفضح الزمر المشوّهة للمفاهيم والقيم الصحيحة ولذا عندما نقول: إنّ حقيقة الصراع

هو بين ثقافتين أولاهما إصلاحية والثانية افسادية لا نكون مجحفين لو وصفنا الثانية بأنّها انتهازية مستهترة غير مقيدة بضوابط الدين والأخلاق.

وهكذا كان واقع الحياة، بل المستفاد من سيرة الأنبياء والمرسلين أنّهم عملوا على نشر القيم بدءاً بآدم (ع) وختماً بنبوة الخاتم للرسالات(ص)، مضافاً إلى ما ورد في التاريخ من العبر الخالدة الدالّة على أولوية تقدّم القيم على المفاسد؛ ولذا ورد التأكيد على أهمية حسن الخلق في المجتمعات بقوله(ص): **(أفاضلكم أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم)**[٤٣].

ثمّ إنّ تأكيد المنهج السماوي على أهميّة القيم في الحياة من خلال الجهاد والمجاهدة في سبيل الله(**إنّ الجهاد هو العزّ والأمر بالمعروف هو الوفاء والنهي عن المنكر هو الحق).**

وقد أبرزت الثقافة الأولى (ثقافة الحسين(ع) هذه الرؤية في الإصلاح في إطار الأخلاق داخل المجتمعات؛ لما لها من الأهمية في إدارة الواقع الحياتي للمجتمعات؛ لذا نراه يقول: **(وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا).**

فهذا معاوية يخاطب أتباعه صراحة: **(ما حاربتكم لكي تصلّوا وتصوموا بل حاربتكم كي أتأمّر عليكم).**

وهنا تكشف هذه الثقافة عن أخطر أوراقها والأمة مازالت تغط في السبات لا تحرك ساكناً ولم تغيّر شيئاً **{لا يغيّر الله بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم}**[٤٤] وفي المقابل نرى الثقافة الرافضة تضع في المعادلة ما يرجحها **(لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد).**

فكانت نتيجة الصراع هي الامتداد للمسار الذي رسمه الإمام(ع) على مرّ التاريخ وهو ما يؤيّده الخطاب الإلهي{**إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً**}[٤٥].

وأيّ فتح ذلك المعبّر عنه عندما خرج من مكّة **(من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم أمّا بعد فمن لحق بي فقد استشهد ومن تخلّف لم يشهد الفتح والسلام)**، وهذا المراد ناتج عن الخطاب الإلهي:{**واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين**}[٤٦].

وبما أنّنا أثبتنا أنّ حقيقة الصراع هو بين ثقافتين وأشرنا إلى بعض الخصوصيات التي تكتنف كليهما، والآن نود الإشارة إلى أنّ كلا منهما لديه الآليات المناسبة لكي يوصل صوته إلى المجتمع، فالثقافة الأولى تبتغي نشر القيم في الحياة ولابدّ أن تكون آلياتها تناسب ما تذهب إليه،

وإلا لانخرم وعدها للمجتمعات بأنّها ستكون ناشرة لقيم الحياة فيها، وبما أنّها الممدوحة على لسان ربها، إذ قال:**{الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}**(٤٧)، فلابد من أنّها ستقوم في نشر أجمل القول في الحياة.

ثمّ قال:**{إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا}**(٤٨)، ولا شك أنّ السبيل الموصل إلى الربّ هو سبيل القيم الصالحة لا الفاسدة.

ولو أنّنا نظرنا إلى ما ألقاه صاحب هذه الثقافة في مختلف مراحل حركته نحو كربلاء نجده يحرص كلّ الحرص على القيم مع الآخرين فقد قال: **(أيّها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا بما هو حق لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن علي سبيل وان لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّه ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون إنّ وليّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين)**(٤٩).

وما أجمله من صوت حق وصدق وصراحة ملتزم بضوابط القيم والأخلاق، كما أنّ تلك الثقافة قد استعانت بآليات أخرى لأجل إيصال صوتها إلى الحياة، ولترفع الإبهام عن ذهن كلّ مستفهم بعدها عن كلّ ما يدور في خلده من عدم أحقية الخروج لأجل إعادة الأمور في نصابها الصحيح، ومن أبرز تلك الآليات هم الأصحاب الذين رافقوه إلى آخر المحطات في العملية التغيرية فهذا برير ينادي: **(يا معشر الناس إنّ الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً وداعيا إلى الله وسراجاً منيراً... أفجزاء محمد هذا يا قوم إنّ ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تفعلوه بهم)**(٥٠).

وقال الحرّ بن يزيد الرياحي: **(يا أهل الكوفة لأمّكم الهبل والعبر إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به)**(٥١).

وهكذا استمرّت تلك الثقافة بعرض ما عندها لأجل إلقاء الحجة على من لا يعلم، فكان الصوت المستمر لها يدوي ويصكّ الأسماع عن طريق سليل النبوة وعقدها المنضود، الإمام علي بن الحسين(ع) في أكثر من موقف ليوضح بجلاء أحقية أهل البيت النبوي روّاد هذه الثقافة الأصيلة في إحداث عملية التغير الإصلاحي للقيم في الكون والحياة.

وهذه أخته ممثلة المرأة في العالم ورائدة الدفاع عن الحق، والمدافعة عمّا تعتقد به من قيم

ورثتها عن جدّها النبي الأعظم(ص) وأبيها الوصيّ الأكرم (ع)، فقد روى المؤرخون أنّها أومأت إلى الناس فسكتوا وراح صوتها الهادر يخترق الإسماع ويصكّها فقالت: **(الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار أمّا بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والعجب والكذب والشنف وملق الإماء وغمر الأعداء. أو كمرعى على دمنة أو كقصّة على ملحودة. ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا ،وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدرة حجتكم وضار محجتكم وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم وسيد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون)**[٥٢].

فاندهش الجميع من هول ما سمعوا فانتبهت القلوب والضمائر لما عرفت من عظيم الشأن والجناية.

لقد أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذّة النصر وسكبت قطرات السم الزعاف في كؤوس الظافرين إلى أن وصلت في آخر خطابها: **(فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد ووجهك إلا بدر يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين والحمد لله رب العالمين الذي ختم لنا ولأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسال الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل)** [٥٣].

فأخذت هذه الآلية من الخطاب مأخذها من الناس مما حدا بالثقافة الأخرى إلى إخراج هذا الصوت الهادر الفاضح النهضوي الموجب لنشر الوعي الإصلاحي والفهم الصحيح للقيم الصحيحة ونبذ القيم الفاسدة.

وأمّا الثقافة الثانية تمتلك من الآليات غير النزيهة، التي غالباً ما تتصل بالواقع الجاهلي ذي النصرة الجاهلية والعصبية القبلية، ومن جمله آلياتها أنّها راحت تردد ما يشمئز السمع عن قبوله ويترفع الذوق عن ذكره لعدم صلاحيته ولأنّه يعيد الوعي إلى ما قبل عملية الإصلاح الأولى

التي جرت على أرض الواقع الإنساني، أي زمن الدعوة إلى الله الأولى، زمن شروق الشمس الإسلام في الأرض ومن جملة قادة هذه الثقافة هو:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وهو أمر غاية في الخطورة إذ يصوّر المنازلة على أنّها عملية ثأرية بين طائفتين لا غير، إنّ الخطر الأكبر الذي خفي على كثير من الناس هو أنّ الثقافة الأخرى تنحو منحى الغالب والمغلوب ولا دخل للدين والعقيدة عندها في شيء سوى الاستفادة من الإطار الخارجي، الذي يمكنها أن تسيطر على الناس وتغيّر المسارات في الوعي العام لديهم.

ويقيناً إنّها ليست مؤمنة بالإسلام بالمرّة وبذا يكون حالها حال أيّ ثقافة معتادة أخرى كاليهودية والنصرانية والرومية وغيرها.

ولكن المؤسف له أنّ المجتمع قد انطلت عليه حيل هذه الثقافة فسار في ركبها طائعاً أو مرغماً من دون أن يدقق فيها ولا فيما سيؤول إليه الأمر عند اتّباعها.

المبحث السادس: الحسين (ع) خصائص وميزات وأخلاق

لقد أكّد الرسول الأكرم(ص) على مكانة الإمام الحسين(ع) مراراً وتكراراً ومنها: **(حسين منّي وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسيناً)**[٥٤].

ولم يكن تأكيد الرسالة على الإمام(ع) إلا لأهمية الدور الذي سيلعبه في عملية التغيير في الواقع الحياتي وقيمه، وقد وصفه معاوية فقال: **(إذا وصلت مسجد رسول الله(ص) فرأيت حلقة فيها قوم كان على رؤوسهم الطير فتلك حلقة الحسين والله)**[٥٥].

والإمام(ع) إنّما نشأ وترعرع في بيت النبوّة، وقد شهد العديد من التجارب التي صقلت المواهب لديه بما فيها الصبر والحلم والإباء وغيرها فهو الذي شهد وعاصر أولى عمليات التخريب في واقع الحياة الإسلامية ومعاناة أمه الزهراء(س) وشهادة أبيه وأخيه وخاض العديد من الحروب والفتوحات وقاسى الأمريْن في مسألة الصلح مع معاوية وغير ذلك من الأمور التي تزيد الإنسان صقلاً وصلابة.

إلى جانب ذلك نجد يزيد موصوفاً على لسان الجاحظ: **(وكان يزيد لا يمسي إلا سكران ولا يصبح إلا مخموراً، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كلّ شهر مرة حتّى لا يعقل في السماء هو أو في السماء، وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً، وكان هشام يشرب في**

كلّ جمعة، وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يدمنان اللهو والشراب فأمّا يزيد بن الوليد فكان دهره بين حالتي سكر وقمار ولا يوجد أبداً إلا معه إحدى هاتين، وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت)[٥٦].

قال أبو الفرج الأصفهاني: **(كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل)**[٥٧].

والمقولة الرائعة للنبي الأكرم (ص) **(إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[٥٨] هي المسار الذي اختطّه لنا نبيّنا الكريم(ص) في سيرنا الحياتي لأجل السلامة في الدارين(الدنيا والآخرة) وهذه الأخلاقية الرائعة المقننة للحياة بجميع أطرها ومناحيها شكّلت لنا الضابطة التي بموجبها يجب أن نسير.

وبما أنّ الحسين(ع) هو امتداد لذلك الأصل النبوي المستند إلى السماء في كلّ ما يصدر عنه من قول أو فعل طبقاً للنص القرآني**{وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}**[٥٩] و**{وإنّك لعلى خلق عظيم}**[٦٠] فلابدّ أن يكون الفرع المتصل بذلك الأصل حاملاً لنفس الصفات الكريمة والخصال الحميدة؛ لذا جاءت ثورته متصفة بالأخلاق بدءاً وانتهاءاً، فلا مداهنة ولا مخاتلة ولا التواء **(ومثلي لا يبايع مثله)** بمعنى نفي القرين عنه صراحة. وكذلك نرى أخلاقية الصدق في المقال **(وخير لي مصرع أنا لاقيه... ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موقناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى)** [٦١]فلا وعد بالكذب ولا أماني ولا إلجاء في الخروج، بل صدق وصراحة وإخبار بالشهادة، ونجده يؤكّد على ضرورة عدم منع الماء عن العَطِش إنسانا كان أم حيواناً فيقول: **(اسقوا القوم وارووهم من الماء وارشفوا الخيل رشفاً)** [٦٢].

فهذه الأخلاقية التي لا تغادر أبسط المفردات حتّى سقاية الخيل والأعداء هي من ثوابت قيم منهج السماء.

فضلا عن الرعاية الأبوية لكل من كان في ساحة المعركة عبداً كان أم حرّاً، فالجميع عنده أحرار لاعتناقهم المشرب الصحيح الذي يخرجهم من ذل العبودية إلى رحاب الحرية، جون، واضح التركي، و... و... و... و... كلهم مشمولون بتلك الرحابة الحسينية، فالبكاء على

الشهداء شمل الجميع، والاحترام شمل الجميع، والبشارة شملت الجميع، والرعاية شملت الجميع حتّى مشاعر أمّ عمر بن جنادة الأنصاري.

كلّ ذلك يدلّ على منهجية أخلاقية لم تترك ثغرة في مسيرها نحو الخلود وهي منهجية طغت على ثورة الإمام(ع) لأنّها ثورة قيم وإصلاح تآزر فيها المصلحون والمخلصون وأتباعهم.

وبهذه الأخلاقية بقي صوت قائد الثورة ورائدها الإمام(ع) يرنّ في الأذان على مرّ العصور والأزمان بقوله: **(ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله...)** [٦٣].

وفي المقابل لا زال العناد يؤمن بضرورة الجمود على ما ورثه من الآباء **{إنّا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنّا على آثارِهِم مهتدون}**[٦٤] دون أن يكلّف نفسه ويعطي للعقل أية فرصة للنظر والاستدلال وترك الأنا القاهرة التي سدّت الطريق أمامه فبقي يقبع في عالم الظلمات إلى الأبد.

الخاتمة:

تطرقنا في هذه البحث إلى مجاورة القرآن للسنة في خطابات الثورة الحسينية في مختلف مراحل حركتها على مستوى القيادة والقاعدة وتطرقنا إلى تأريخ الأمّة في شبه الجزيرة العربية قبل عمليّة التغيير الإلهي الذي اعتادت السماء أن تمنّ به على أهل هذا الكوكب وكعادة السماء في إيجاد الاهتزازات المناسبة والكفيلة ببعث الحياة بعد أن امتدّت يد الفوضى إليها وخربت مساحاتها الواسعة وكأنّها أخذت على عاتقها إيجاد المناخات الملائمة لعملية التغيير والإصلاح، وعلى وفق خطابات الثورة الحسينية التي تناولت أهمّ قضية من قضايا الأمّة الإسلاميّة والتي تتمثّل في تعرض بناها الفكرية لهجمات فكرية قوية في ظل النظام العالمي الجديد وهذه الهجمات الفكرية معضودة بمفاهيم خاطئة بالكون والحياة.

وحاولنا الربط بين الاستمرارية وبين الأنموذج الثوري من زاوية نسأل من خلالها: هل يتمتع الأنموذج الثوري بالاستمرارية لكي يتلاءم مع استمرارية المنهج وشموليته أو تكفي صلاحية المنهج للاستمرار فقط من دون أنموذجه؟ وتوصلنا إلى القول بالملازمة وعدم الانفكاك بين الطرفين لكي نضمن الاستمرارية بكلّ أبعادها ولكي نتخلص من حالة الشكّ في الاستمرارية للمنهج ورفع النقض الوارد في المقام. كما توصلنا إلى أن حتمية التحرك في الثورة والتعبير عن ثوابت التحرك هي الأساس الذي لا يخالطه الشكّ في عملية الإصلاح هذا الثابت نابع عن معرفية تامة لأمور الأمّة آنذاك كيف وهو الخبير ابن الوصي الذي يدرك ويعلم أن صلاح الأمّة لا يتم إلا بالثورة ولكن أي ثورة الثورة المدروسة الخطى ذات الثوابت العميقة التي تمثل المرتكز الذي يعتمد عليه في عملية التثوير الحتمية الوقوع.

وتوصلنا إلى أن مصدر القوّة هو الارتباط بالسماء من جهة، وأداء التكاليف المناطة بالمخلوقين من جهة أخرى، وفي البين إلهاب وتوهّج للوعي يجعله قابلا لإعلان الرفض لكلّ أنواع الاستبداد أو الاستلاب الممارس في واقع الأمّة سياسياً وفكرياً. وتطرق البحث إلى أنّ عاشوراء الحسين (ع) تتضمن المأساة والتحدّي فقد أحدث في المجتمع الذي رضي بالذلّ والهوان هزات عنيفة أعادت له بعض وعيه المفقود وإرادته المستلبة، بقوله المستمد من وحي النبوّة المرتبط بالسماء: **(والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمة)**

ولما كان الإمام الحسين(ع) امتداداً لذلك الأصل النبوي المستند إلى السماء في كلّ ما يصدر عنه من قول أو فعل طبقاً للنص القرآني**{وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}** و**{وإنّك لعلى خلق عظيم}** فلابدّ أن يكون الفرع المتصل بذلك الأصل حاملاً لنفس الصفات الكريمة والخصال الحميدة؛ لذا جاءت ثورته متصفة بالأخلاق بدءاً وانتهاءً، فلا مداهنة ولا مخاتلة ولا التواء **(ومثلي لا يبايع مثله)** بمعنى نفي القرين عنه صراحة. وكذلك نرى أخلاقية الصدق في المقال **(وخير لي مصرع أنا لاقيه... ألا ومن كان باذلاً فينا**

مهجته موقناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى) فلا وعد بالكذب ولا أماني ولا إلجاء في الخروج، بل صدق وصراحة وإخبار بالشهادة، ونجده يؤكّد على ضرورة عدم منع الماء عن العَطِش إنسانا كان أم حيواناً فيقول: **(اسقوا القوم واروهم من الماء وارشفوا الخيل رشفاً)**فهذه الأخلاقية التي لا تغادر أبسط المفردات حتّى سقاية الخيل والأعداء هي من ثوابت قيم منهج السماء. فضلا عن الرعاية الأبوية لكل من كان في ساحة المعركة عبداً كان أم حرّاً، فالجميع عنده أحرار لاعتناقهم المشرب الصحيح الذي يخرجهم من ذل العبودية إلى رحاب الحرية

الهوامش

(١) سورة النحل: ٥٨- ٥٩.

(٢) سورة الشورى: ٤٩.

(٣) سورة العلق: ١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي،ج٢، ص ٥٣٧، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولي، دار إحياء الكتب العربي، قاهره، مصر، ١٣٧٨هـ.ق.

(٥) شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد المعتزلي،ج٢، ص ٥٣٧، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولي، دار إحياء الكتب العربي، قاهره، مصر، ١٣٧٨هـ.ق.

(٦) سورة آل عمران: ٨٥ .

(٧) سورة الصافات: ١٤٧.

(٨) سورة النحل: ٨٩.

(٩)ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٢٩.

(١٠) سورة يوسف: ٦٧.

(١١) سورة المائدة: ٤٤.

(١٢) سورة الأعراف: ٣١.

(١٣) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب،: ج٤، ص٧٧، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران، المطبعة: حيدري، الطبعة: الرابعة، ١٣٦٢ش.

(١٤) مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي، ج١٤، ص١٣٠، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى المحققة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(١٥) شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٤، ص٢٩، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الأولي، دار إحياء الكتب العربي، قاهره، مصر، ١٣٧٨هـ.ق.

(١٦) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ج٨، ٣٤٩، تصحيح: هاشم ألرسولي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ هـ.

(١٧) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٦.

(١٨) تحف العقول من آل الرسول 6، لابن شعبه الحرّاني، ج١٣، ص١٣، مؤسسة النشر الاسلامى لجامعة المدرسين قم، ١٤٠٤.

(١٩) الملحمة الحسينية، مرتضى المطهري، ص ١٠٠.

(٢٠) مقتل الخوارزمي، عبد الرزاق، المقرم، ص ١٤٤.

(٢١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص٣١٤.

(٢٢) سورة القصص: ٢١.

(٢٣) مثير الأحزان، الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ٤١ ، نشر: المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٦٩ هـ

(٢٤) مقتل الخوارزمي، هبد الرزاق المقرم، ج١: ص١٨٨.

(٢٥) ابن الأثير، الكامل: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، ج٤: ص ٤٨، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

(٢٦) سورة التوبة:١١.

(٢٧) عاشوراء في الأدب والحديث: ص ٤٧.

(٢٨) سورة التوبة: ١١١.

(٢٩) الشريفي، كلمات الإمام الحسين،ج١،ص ٣٩٣.

(٣٠) سورة الأنفال: ٦٠.

(٣١) سورة التوبة: ١١١.

(٣٢)تاريخ الطبري، الطبري، محمد بن جرير، ج٤، ص٢٩، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1407ـــ ط١.

(٣٣) تاريخ الطبري، الطبري، محمد بن جرير، ج٤، ص٣١٧ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1407ــ ط١.

(٣٤) تاريخ الطبري، الطبري، محمد بن جرير، ج٤، ص٣٠٠، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1407ــ ط١.

(٣٥) أسرار الشهادة، الدر بندي: ج٢ : ص٢٢٢.

(٣٦) أعيان الشيعة، محمد الأمين: ج١: ص ٦٠٠، دار التعارف ــ بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣م .

(٣٧) الشريفي، كلمات الإمام الحسين، ج١، ص٤٠٧.

(٣٨)تاريخ الطبري، الطبري، محمد بن جرير، ج٤ ، ص ٢٩٦، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1407ــ ط١.

(٣٩)تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام، ج٤، ص٧.

(٤٠) الشريفي، كلمات الإمام الحسين، ج١، ص٤٠٧.

(٤١) سورة الانشقاق: ٦.

(٤٢) سورة هود: ١٣.

(٤٣)تحف العقول، ابن شعبة ، الحراني، ج١٣، ص١٣ ، مؤسسة النشر الاسلامى لجامعة المدرسين قم، ١٤٠٤ هـ.

(٤٤) سورة الرعد: ١١.

(٤٥) سورة الفتح: ١١.

(٤٦) سورة الحجر: ٩.

(٤٧) سورة الزمر: ١٨.

(٤٨) سورة الإنسان: ٢٩.

(٤٩) السيد هبة الدين، نهضة الحسين (عليه السلام)، ج١٢، ص٦.

(٥٠) تاريخ الطبري، الطبري، محمد بن جرير، ج٤، ص٣٢٤، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1407ــ ط١.

(٥١) ابن الأثير، الكامل: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، ج٤: ص ٦٥، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

(٥٢) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى ، ص١٩٢، مطبعة مهر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٥٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى ، ص٢١٨ ، مطبعة مهر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٥٤) سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،ج٥، ص٣٧٧، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .ق/ ١٩٨٧م؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣، ص٢٧٣، تحقيق: حسين الأسد، نشر: مؤسسة الرسالة _ بيروت _ لبنان، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، جمال الدين يوسف، ج٦، ص٤٠٦، تحقيق بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٤ـ ١٤٠٦هـ.

(٥٥) موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٨: ١.

(٥٦) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك: ١٥١.

(٥٧) الأغاني، الأصبهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، ج١٧، ص٣٠٠، تحقيق: سمير جابر، نشر: دار الفكر، بيروت، ط٢.

(٥٨)مسند الرضا (ع)، داود بن سليمان الغازي، ج١، ص١١٦، ترجمة محمد الجلالي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط١ـ ١٤١٨هـ.

(٥٩) سورة النجم: ٣-٤.

(٦٠) سورة: القلم: ٤.

(٦١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى ، ص٥٣ ، مطبعة مهر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

؛ نفس المهموم، القمي، ص ١٦٣.

(٦٢)تاريخ الطبري، الطبري، محمد بن جرير، ج٤، ص٢٠٣، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1407ـ ط١.

(٦٣) مثير الأحزان: ج١، ص١٣.

(٦٤) سورة الزخرف:٢٢.

المصادر

القرآن الكريم

١. **شرح نهج البلاغه**، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتاب العربي، قاهره، مصر، ١٣٧٨هـ.ق.

٢. **الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى ٣٢٩ هـ، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران، المطبعة: حيدري، الطبعة الرابعة، ١٣٦٢ش.

٣. التاج في أخلاق الملوك، الجاحظ، المطبعة العالمية، بيروت لبنان.

٤. **مستدرك الوسائل**، حسين النوري الطبرسي، المتوفى ١٣٢.هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى المحققة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٥. مقتل الخوارزمي، هبد الرزاق المقرم، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، ١٤١٩.

٦. **مرآة العقول**، محمد باقر المجلسي، المتوفى ١٣١١ هـ، تصحيح: هاشم الرسولي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ هـ.

٧. **تحف العقول من ال الرسول** (ص)، ابن شعبه ا، مؤسسة النشر الاسلامى لجامعة المدرسين قم، ١٤٠٤هـ.

٨. **الملحمة الحسينية**، الشهيد، المطهري، دار الكتب الإسلامية، طهران_١٣٧١.

٩. **مثير الأحزان، الحلي**، محمد بن جعفر، ، نشر: المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٦٩ هـ.

١٠. . **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

١١. **أعيان الشيعة، العاملي**، محسن الأمين الحسيني، دار التعارف ـ بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣م .

١٢. **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، محمد بن جرير، دار الكتب العلمية ـ بيروت، **1407**ـ ط١.

١٣. **اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس**، علي بن موسى، مطبعة مهر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٤. **سنن الترمذي، الترمذي**، محمد بن عيسى بن سورة، الناشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .ق/ ١٩٨٧م.

١٥. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق: حسين الأسد، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.

١٦. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي**، جمال الدين يوسف، تحقيق بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ط٤ــ ١٤٠٦هـ.

١٧. **موسوعة طبقات الفقهاء**، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق : خليل الميس، دار القلم ــ بيروت.

١٨. **الأغاني**، الأصبهاني أبي الفرج، علي بن الحسين بن محمد، تحقيق: سمير جابر، نشر: دار الفكر، بيروت، ط٢.

١٩. **مسند الرضا(ع)**، الغازي، داود بن سليمان، ترجمة محمد الحسيني الجلالي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط١ــ ١٤١٨هـ..